



الحمد لله الذي امتن على عباده بنعم لا تعد ولا تحصى، والصلة والسلام على من كانت سيرته أعظم مثال للبر والتقوى، وعلى الله وصحابه الذين لا يقدّرهم حق قدرهم إلا من راقب من يعلم السر وأخفى، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الحشر والقيمة الكبرى، أما بعد:

فمن النعم العظيمة التي أنعم الله بها على عبده ورسوله محمد - صلى الله عليه وسلم - أن ألف بين قلوب أصحابه؛ تلك القلوب التي لا يدرك عمق ما كان يفرقها إلا من خبر حال العرب قبل الإسلام من التنازع والتفاخر والقتال، وإغارة بعضهم على بعض، وسبى بعضهم نساء بعض، فكيف وقد ألف الله بين هؤلاء فيما بينهم، وألف بين العرب والعجم، والأسود والأحمر، والغني والفقير، والسيد والعبد؟

لن يدرك حقيقة هذه النعمة حق الإدراك إلا من يقرأ قوله تعالى: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرُّقُوا وَإِنْ كُرُوا نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءَ فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْرَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَاعَةٍ حُرْفَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْفَدْتُمُّكُمْ مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهَدُونَ) [آل عمران:103].

وقوله جل وعلا: (هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ * وَالْأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتُ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ * وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) [الأنفال:62-63].

إن مما ابتلينا به في هذا الزمان ما نجده من تنازع بين المسلمين وتباعد واختلاف للقلوب، وهو ما يمكن أن يصل إلى حد التدابير والقطاطع والعداوة، كما نرى في بعض أماكن العمل وبين الجيران وبين الأقارب، بل ربما بين أهل البيت الواحد؛ وقد يكون دون ذلك، فترى كل إنسان يعيش وكأنه جزيرة معزولة عن محيطه من الإخوان والأصدقاء والجيران والأقارب، بل حتى داخل نفس البيت.

فإذا خرجت من الإطار الضيق ومحيطك الصغير، وجلت بمناظريك في عالمنا الإسلامي الكبير، هالك ما تجد من خلافات وصراعات بين أبناء الدين الواحد المنتسبين بالجملة لأهل السنة؛ صراعات فكرية وعلمية وسياسية واجتماعية و(كُلُّ حِزْبٍ

بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ] [المؤمنون:53]، رغم أن العدو متربص بهم جميعاً، ولا شيء يسعده أكثر من هذه الخلافات والعداوات التي تضعف الجميع، فهو يتحين الفرصة المواتية لينقض عليهم جميعاً، وحينها لن يفرق بينهم، ولن يرحم سيفه منهم أحداً.

ترى ما هو الحل والمخرج من هذا التيه؟

لا شك أن كتابات كثيرة كتبت لتشخيص الداء، وتحديد أبعاد المشكلات، والغوص في تفاصيلها، والبحث عن حلول مؤصلة عميقه، وهذا كله مطلوب وحسن، لكن هذا لا يعني أن الحلول لا بد أن تكون كلها كذلك، ولا يعني أيضاً أننا كأفراد عاديين - على اختلاف أعمالنا ومستويات تعليمنا ودرجات تأثيرنا فيمن حولنا - لا نملك أى شيء نقدمه في هذا السبيل.

إنني أزعم أن جزءاً كبيراً من حل المشكلة هو بأيدينا نحن كأفراد، وأن جزءاً كبيراً من حلها هو أبسط وأسهل بكثير مما نتخيل، بل إن الهدي النبوي أشار إلى ذلك بوضوح، ففي الحديث الذي رواه مسلم.. وغيره، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أو لا أذلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؛ أقشوا السلام بينكم»(1).

هل هو حديث جديد يطرق سمعك لأول مرة أيها القارئ الكريم؟

أكاد أجزم أن كلنا أو جلنا يعرف هذا الحديث ويحفظه منذ نعومة أظفاره، ولكن هل تأملنا في معناه جيداً، وهل تشربنا هذا المعنى في قلوبنا؟ يقول النووي - رحمة الله - : "فيه: الحث العظيم على إفشاء السلام وبذله للمسلمين كلهم من عرفت ومن لم تعرف... والسلام أول أسباب التالق، ومفتاح استجلال المودة، وفي إفشاءه تمكن ألغة المسلمين بعضهم لبعض... وفيه: لطيفة أخرى وهي أنه يتضمن رفع التقاطع والتهاجر والشحناه وفساد ذات البين التي هي الحالة"(2).

فهذا عمل بسيط يغفل عنه كثير من المسلمين ولا يلقون له ولا لآثاره بالاً، مع أن آثاره عظيمة جداً، وأي أثر أعظم من تحقق المحبة وكمال الإيمان ودخول الجنة؟!

ومن الأعمال البسيطة أيضاً التي نبه إليها نبينا - صلى الله عليه وسلم - وغفلنا عنها - إلا من رحم الله - قوله: "أَقِيمُوا صُفُوفَكُمْ، ثَلَاثًا، وَاللَّهُ لَتُقِيمُنَّ صُفُوفَكُمْ أَوْ لِيُخَالِفَنَّ اللَّهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ" قال النعمان بن بشير - رضي الله عنهما - : فَرَأَيْتُ الرَّجُلَ يُلْزَقُ مَنْكِبَهُ بِمَنْكِبِ صَاحِبِهِ، وَرُكْبَتَهُ بِرُكْبَتِ صَاحِبِهِ وَكَعْبَهُ بِكَعْبِهِ»(3).

وفي الحديث الآخر: «رُصُوْلُ صُفُوفَكُمْ، وَقَارِبُوْنَ بَيْنَهَا، وَحَادُوْنَ بِالْأَعْنَاقِ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لَأَرَى الشَّيْطَانَ يَدْخُلُ مِنْ خَلَلِ الصَّفَّ كَانَهَا الْحَدَفُ»(4).

وقد ذهب بعض أهل العلم إلى وجوب التسوية، قال العلامة ابن عثيمين - رحمة الله - : "القولُ الرَّاجُحُ في هذه المسألة: وجوب تسوية الصَّفَّ، وأنَّ الجماعة إذا لم يسُوّوا الصَّفَّ فهم آثمون، وهذا هو ظاهر كلام شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمة الله - " (5).

ترى هل نقيم صفوتنا اليوم في الصلاة ونرصها أم أنها مفرقة مبعثرة تسرح الشياطين فيها وتمرح؟ إن من المتعين علينا والواجب اليوم أكثر من أي وقت مضى أن نتبع الهدي النبوي في تسوية الصفوف ورصها، وهي أعمال هينة بسيطة، أفنعجز اليوم عن الإتيان بها ونحن نرى رأي العين آثار تركها واضحة جلية؟

وإن مما ينفي التأكيد عليه هو ضرورة تنبية الأئمة لهذا الأمر، فإن المسئولية تقع عليهم بالدرجة الأولى، فهم يقومون في إماماة الناس مقام النبي - صلى الله عليه وسلم - في إماماة أصحابه، وقد كان الحرص على تسوية الصفوف دينه، ودين

الخلفاء والأئمة من بعده، فعن البراء بن عازب -رضي الله عنهم-، قال: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَتَحَلَّ الصَّفَّ مِنْ تَاحِيَةٍ إِلَى نَاحِيَةٍ، يَمْسَحُ صُدُورَنَا وَمَنَاكِبَنَا، وَيَقُولُ: لَا تَخْتَلِفُوا فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ»(6).

وقال الترمذى -رحمه الله-: وروى عن عمر -رضي الله عنه-: «أَنَّهُ كَانَ يُوكِلُ رِجَالًا بِإِقَامَةِ الصَّفَوْفَ، وَلَا يَكْبُرُ حَتَّى يُخْبِرَ أَنَّ الصَّفَوْفَ قَدْ أَسْتَوْتَ».

وروى عن علي، وعثمان -رضي الله عنهم-: «أَنَّهُمَا كَانَا يَتَعَاهِدَانَ ذَلِكَ، وَيَقُولُانِ: أَسْتَوْوَا، وَكَانَ عَلِيٌّ يَقُولُ: تَقْدِيمُ يَا فَلَانَ، تَأْخِرُ يَا فَلَانَ»(7).

وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(1) صحيح مسلم (1/74). (54)

(2) شرح النووي على مسلم (2/36).

(3) سنن أبي داود (1/178) (662)، وصححه الألبانى.

(4) سنن أبي داود (1/179) (667)، وصححه الألبانى.

(5) الشرح الممتنع على زاد المستقنع (3/10).

(6) سنن أبي داود (1/178) (664)، وصححه الألبانى.

(7) سنن الترمذى (1/439) (227)، وصححه الألبانى.

المصادر: